وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

أسلوب الإصلاح الاجتماعي من منظور القرآن الكريم وسيرة الامام الحسين عليه السلام

د. مصطفى غفوري الحسني

أستاذ كلية القانون في جامعة الاديان والمذاهب ودكتوراه في الفقه والقانون جامعة طهران، كاتب ومحقق قانوني وإسلامي

الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة

فاطمة كسمائي

بكلوريوس التعليم القرآن الكريم جامعة الاجتهاد، مُدرسة في دار السيدة رقية تحت إشراف جامعة المصطفى العالمية ومدرسة الزهراء عليها السلام في قم المقدسة

الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة

الملخَّص:

إنَّ إفساد المجتمعات الإنسانية في العقود الأخيرة بجانب التطورات التكنولوجية يشعر بمحدودية الفكر البشري للتطور في جميع الجوانب ونقصانه لتلبية كلِّ متطلبات البشر للنمو والتطور الاجتماعي الكامل، في حين أنَّ المنظور القرآني يقدم للإنسان برامج وتخطيطات لنمو المجتمع الإنساني في الدنيا وأيضًا في الآخرة في الوقت نفسه، وفي استراتيجية القرآن الكريم يقدم طرق إصلاح المجتمع والفرد سويةً، فالفساد يهدد صحة المجتمع من طريق تعطيل نظام المجتمع، لذلك يسعى الإصلاحيون إلى الإصلاح في مواجهة الفساد الخطير.

يقدّر الإسلام من جهة معرفة الذات وتحسينها، ومن جهة أخرى، معرفة المجتمع، لذلك فإن حقيقة الإصلاح الإجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم أصول الإصلاح الاجتماعي على قسمين: أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع أو إصلاح الإجتماعي على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع، والإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد كإصلاح النفس، والثبات على المبدأ، واتّباع السنّة و... والإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلقاء الحجة، وحفظ كرامة الآخر، والحضّ على المكارم، الذي نشاهدها تمامًا في سيرة الأئمة ولاسيما أنَّ الإمام الحسين ونهجه لوعي المجتمع.

هذه البحث جاء منهجه طبقًا للمنهج الوصفي-التحليلي الذي يسعى إلى دراسة المعالم القرآنيَّة وإبرازها لإصلاح المجتمع في سيرة الإمام الحسين من أجل تقديم أساليب الاصلاح للمجتمع اليوم.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب الإصلاحي، المجتمع الإنساني، القرآن الكريم، الإمام الحسين عليه السلام.

Summary:

Corrupting human societies in recent decades, along with technological developments, feels the limited human intellect of evolution in all aspects and its inadequacy to meet all human requirements for total social growth and development."

While the Quranic perspective provides human beings with programs & plans for Human society's Growth in life & afterlife at the same time.

The Holy Quran's strategy is to offer ways to reform the whole society. Corruption threatens society's health by disrupting society's system, so reformers seek reform in the face of severe corruption. Islam appreciates & enhances self-knowledge, in addition, Society-Knowledge. Therefore, the reality of social reform is based on origins & rules that must be adopted until the reform process takes place.

We divide them into two sections: the sources of reforming society members and the roots of reorganizing the society; it's called Social reforming.

The social reforming of the whole Society leads to promoting virtues and preventing vices, giving evidence, preserving other dignities, and making people do virtues, which we see perfectly & clearly in the Ahlualbayet biography, especially in Imam Hussain. Based on a descriptive-analytical approach, this research aimed to investigate & highlight the Quranic aspects of community reform in Imam Hussein's biography, to introduce reform approaches to contemporary societies.

مقدمة:

إنَّ الله سبحانه سخَّر للبشر ما في السموات وما في الأرض، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، ولم يتركهم في هذا الوجود بلا منهج يسيرون عليه، بل جعل لهم منهجا بيِّنًا ليسير عليه، من أجل تنمية الحياة، قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾]طه: ١٢٣-١٢٤[، وفي هذا الصدد أمر الناس باصلاح الفساد والانحراف الذي يطرأ على الحياة الاجتماعيَّة، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦]، و في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد: ٢٥] الذي يتحدث بخصوص إصلاح المجتمع بواسطة إرسال الرسل والكتب من قِبل الله سبحانه للإصلاح. كما ورد في تفسير القمي في تفسير الآية المباركة: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦] قال: «أصلحها برسول الله وأمير المؤمنين، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين وذريته».

وهذا هو منطلق مشروع الإمام الحسين عليه السلام وحركته المباركة، إذ أبرز أنَّ هدفها الإصلاح من جهة إعادة أمر الأمة إلى مركز الإصلاح الحقيقي، فشعاره «خرجت للإصلاح في أمة جدي» التي تغيرت في المفاهيم والموازين، وظهر الظلم والفساد، مع سكوت المصلحين المتدينين تجاه هذه المفاسد. وقد نرى عندما دعا الإمام الحسين ـ قُبيل خروجه من المدينة إلى مكة ـ بدواة وبياض، وكتب هذه الوصيّة لأخيه محمّد بن الحنفية:

«بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، هذا ما أَوْصى بِهِ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب إِلى أَخيهِ مُحَمَّد المَعْرُوفِ بِابْنِ الحَنَفيَّةِ: أَنَّ الحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ الحَقِّ، وَأَنَّ الجَنَّةَ وَالنّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السّاعَةَ

آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وَأَنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ، وَأَنّي لَمْ أَخْرُجْ أشِرًا وَلا بَطِرًا، وَلا مُفْسِدًا وَلا ظالِمًا، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإصلاح في أُمَّةِ جَدّي، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ المُنْكَرِ، وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأبي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب، فَمَنْ قَبِلَني بِقَبُولِ الحَقِّ فَالله أَوْلى بِالحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ الله بَيْني وَبَيْنَ القَومِ بِالحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ، وَهذِهِ وَصِيَّتي يا أَخي إِلَيْكَ، وَما تَوْفيقي إلّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنيبُ» بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٣٠.

بعدما عرَّف الإمام عقيدته بادر إلى بيان هدفه من هذه النهضة المباركة، وقد ابتدأ بنفي شهوة البطر والأشر أي: الفرح والسرور وجحود النعم وعدم شكرها، ثمّ نفى الظلم والمفسدة وهي شهوة الغضب، حتى لا يُفهم أنّ نهضته من أجل الحصول على الراحة الدنيوية، أو من أجل الطغيان والظلم وإثبات الوجود، وكلا الأمرين لا يطلبه مَن يؤمن بالله واليوم الآخر. وبعد أن نفى جميع هذه الأُمور عرَّج لبيان هدفه، وهو: الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تاريخ البحث:

١. كتب الدكتور حسين علي حسين المهدي مقالة في مجلة تسليم في ٢٠٢١م=١٤٤٢هـ تحت عنوان الاصلاح الحسيني من منظور قرآني؛ في استعداد القرآن الكريم لاصلاح المجتمع الذي كان أسس حركة الإمام الحسين(عليه السلام) على أساس أقواله وخطبه منذ خروجه من المدينة إلى استشهاده، إصلاح المجتمع الإسلامي، فاستدعى عن ذلك الثورة للعودة إلى مسيره الصحيح، فذكر فيه المقاربات القرآنية للكلمات الحسينية للإصلاح المجتمع.

٢. كتب الدكتور بكر مصطفى طعمة بني أرشيد تحت عنوان «الإصلاح الاجتماعي وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي » يتحدث عن الأصول التي يقوم عليها الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد، بإصلاح أحوالهم في جوانب

الاعتقاد، والعمل، والأخلاق، وبيان الأصول التي يقوم عليها الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع بأنواعه السياسي، والاقتصادي، بتغيير العادات والتقاليد، والعلاقات الإجتماعية، وبيان العلاج الفساد الاجتماعي في مجال الجرائم والانحراف؛ لإعادة الناس إلى الطريق القويم والمنهج السليم.

٣. الإصلاح الاجتماعي في تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، قدمت في جامعة آل البيت عليهم السلام تتحدث عن جهود ابن عاشور في الإصلاح الاجتماعي، من طريق تفسيره التحرير والتنوير وخاصة في المجتمع التونسي.

منهج البحث:

منهج بحثنا طبقًا للمنهج الوصفي-التحليلي تسعى لدراسة وابراز المعالم القرآني لاصلاح المجتمع في سيرة الإمام الحسين عليه السلام بأسلوب مكتبية من أجل تقديم أساليب الإصلاح للمجتمع اليوم.

ضرورة البحث:

إنّ المجتمع الإنساني اليوم يعيش في ظلام دامس بسب الفوضى والاضطرابات والقلق، فهي بحاجة للإصلاح، ولا يتمّ الإصلاح إلّا بالرجوع إلى كتاب الله وسنّة النبيّ؛ استنادًا إلى قول الرسول: «إنّي مخلِّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » [الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٦١٦]، وأنَّ القرآن الكريم يعرِّف نفسه ﴿**تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (نحل: ٨٩). ولكن يوما بعد يوم، تتجلى موجة الليبرالية أكثر فأكثر في بلدان العالم الإسلامي. كما أن ضعف القوانين القائمة في ضبط الظلم والإسراف أصبحت أكثر وضوحا، والغرض من التشريع من وجهة نظر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان هو:

أولًا: القانون الحقيقي هو نظام يمكنه أن يهدئ إرادة أفراد المجتمع وأفعالهم،

ويقضي على الاضطرابات بينهم ويرسم حدودها بحيث لا تعيق إرادة الفرد وعمله إرادة وعمل الآخر..

ثانيًا: يجب أن يحكم أفراد المجتمع عليهم بهذا القانون أحرارًا خارج نطاق القانون، لأنَّ اشتراط أن يتحلّى الإنسان بالوعي والإرادة بعد تعديل سلوكه بالقانون. هذا هو السبب في أنَّ القوانين الحالية لا تخضع للتعاليم الإلهية والقضايا الأخلاقية، (وتترك الإنسان حرًا في اختيار أي عقيدة وأن يكون له أي خلق)، وهذان الشيئان المهمَّان للغاية تم تصورهما بطريقة يتصورها القانون بهذه الطريقة، بل تدريجيًا، كما أنَّ حكم إخضاع المجتمع للقانون يوفِّق أيضًا بين معتقداته وأخلاقه مع القانون ويتكيف معه، وعاجلًا أم آجلًا يفقد طهارته الروحية ويصبح طقسًا جافًا ومظهرًا، ولهذا نرى كيف السياسيون يتلاعبون بدين الناس، في يوم من الأيام يوقفونه ويظهرونه في اليوم التالي ويحاولون الترويج له، وفي اليوم التالي لا علاقة لهم به ويتركونه لنفسه.

ثالثًا: اتضح أنَّ الأسلوب الحالي لا يخلو من العيوب؛ لأنَّه على الرغم من أنَّ ضمان إنفاذ القانون يُمنح للسلطة المركزية، إلا أنَّه في الواقع وفي النهاية لا يوجد ضمان للتنفيذ بمعنى أنَّه إذا انحرفت السلطة المركزية نفسها عن الحق و يخالف القانون والنظام الملكي، حوّل المجتمع إلى ملكية خاصة به، ونتيجة لذلك، حلَّت إرادته الشخصية ورغبته محل القانون، ولا توجد سلطة لاستعادته وسيادة القانون مرة أخرى، وبهذا المعنى هناك كثير من الأدلة في منطقتنا. وقتنا (ما يسمى عصر الحضارة والمعرفة) ناهيك عن الدليل على أنَّ التاريخ سجل من القرون الماضية أنَّ الناس لم يصلوا بعد إلى هذا المستوى من العلم أو هذا المستوى من الثقافة والحضارة (العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٥٩).

ونتيجة ذلك، فإنَّ الهدف والجانب المشترك للتشريع في عالم اليوم هو التمتع بفوائد الحياة المادية، في حين أنَّ الهدف الشامل والتوجيه (أو الضعف) الموجود في

جميع القوانين الحالية في العالم اليوم هو التمتع بفوائد مواد الحياة وهي عالم، وهذا هدف يعتبر في جميع القوانين، ولكن درجة السعادة البشرية، بينما الإسلام لا يقبلها، لأنَّ السعادة في الإسلام لا تقتصر على التمتع بالملذات المادية، بل فلكها أوسع مجالًا للاستمتاع بالحياة، وهي الدنيا ومجالها الآخر الاستمتاع بالآخرة، وهي في الإسلام مثل الحياة الآخرة، كما يفعل الإسلام. لا يعتبر أن سعادة الحياة الحقيقية، أي الآخرة للبشرية، يجب توافرها إلا من طريق الفضائل الأخلاقية وتطهير الروح من كلِّ الرذائل. فهو يعد كمالا وكمال بلوغ هذه الفضائل عندما يكون ذلك ممكنًا للبشر حياة اجتماعية صالحة، ولهم حياة تعتمد على خدمة الله تعالى، والاستسلام لمقتضيات ربوبية الله تعالى، والتعامل البشري على أساس العدالة الاجتماعية.

وإنَّ الإمام الحسين عليه السلام أصبح مصباح الهدى وسفينة النجاة، وأقام الدين وحفظ الشريعة بدمه ودماء أهل بيته، وإنّ ثورته أفرزت قيمًا أخلاقية للأجيال القادمة والأُمم والشعوب المضطهدة فهي ثورة ليست محلّية، بل هي ثورة عالمية تدعو للإصلاح ضد الظلم والجور والعبودية من طريق: (الحرية، والعدل، والمساواة، والدمقراطية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنزاهة والشفافية لمحاربة الفساد السياسي والاجتماعي والإداري والمالي والأخلاقي والتربوي...).

إنّ الإصلاح الذي قام به الأنبياء منذ خلق البشر، لا يختلف مضمونه وحقيقته عبر الزمان؛ لأنّ المنشأ واحد والأهداف والغايات واحدة، فهم عليهم السلام جميعًا مرسَلون من الله سبحانه، ولكن الاختلاف في الوسائل التي ترسم وتبرز الإصلاح عبر الزمان، وذلك بحسب ما تقتضيه الظروف التي يعيشها ذاك أو هذا المعصوم؛ من هنا فإنّ الأشكال التي يظهر فيها الإصلاح يمكن أن تتفاوت وتخضع لظروف معيَّنة في كلِّ مجتمع عاشه النبي المعصوم، أو الإمام المعصوم.

فتارةً: يقوم النبي بإظهار الإصلاح المتمثل في عدم سفك الدماء من طريق محاربة

الفساد، فإنّ سفك الدم يُعدُّ جريمةً كبرى منعتها السماء، ولعلّها أوّل جريمة قام بها البشر عندما قتل قابيل أخاه هابيل. وهنا يأتي أثر التعاليم السماوية لتبرز فكرة الإصلاح من طريق منع سفك الدم، ومنع القتال والتقاتل، جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَلَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: آية٢٨]، ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: آية٣٠]، ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾ [المائدة: آية٣٢].

نعم، إنّ مبدأ الإصلاح من طريق منع القتل والتقاتل، وإن كان مبدأً نبيلًا ولكن ربما يُستغَل من قبل الظالمين أيضًا؛ لتمرير غاياتهم، كما في قصّة موسى(عليه السلام) ﴿**فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**﴾ [القصص: آية١٩].

وأُخرى: يكون الإصلاح من طريق المحاججة وبيان الأدلّة والبراهين، بحسب ما في قصّة قوم سبأ؛ إذ إنّهم كانوا يعتقدون بإله آخر متصوّرين أنّه هو الذي يستحق العبادة، باعتقادهم أنّ الشمس وما لها من فائدة يجب أن تُعبَد، من دون الالتفات إلى مَن هو المعطي الحقيقي؟ ولأجل ماذا يعطي؟ وكيف يُعطي؟ فقد جاء في الذكر الحكيم على لسان الهدهد: ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾[النمل: آية٢٣- ٢٤]، فقام النبي سليمان(عليه السلام) بمحاججتهم وإقامة البراهين والأدلّة، وترك القتال، وكذلك كان جواب ملكة سبأ، حيث إنّها أرسلت الهدية وعلَّلت ذلك بطريقةٍ، فقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ**

الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: آية٣٤ـ ٣٥].

وثالثة: يكون الإصلاح من طريق بيان الأمراض السلوكية التي تلمُّ بالمجتمع، والتي تؤدّي إلى الفساد والهلاك والهاوية، كما جاء في قصّة نبي الله شعيب عليه السلام إذ قال: **﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [هود: آية٨٥] فكان الجواب من قومه هو: **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** [هود: آية٨٧-٨٨].

ورابعة: يكون الإصلاح من طريق الحرب والقتال، وقطع دابر المشركين والمفسدين في الأرض، كما في الحروب التي قادها أنبياء الله وأوليائه، قال تعالى: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾** [التوبة: آية١٤].

وهكذا فقد ذكر لنا التاريخ جهود الأنبياء في إصلاح الفساد في الأرض، فكريًّا وعمليًّا، وفي جميع الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، من أجل استمرار النظام الكوني الإلهي، وحفظ الوجود الإنساني.

المفاهيم:

الإصلاح: على الرغم من كثرة التعريفات المعاصرة للإصلاح سأقتصر على تعريفين فقط: أولهما: الإصلاح هو الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح دعوي تربوي تنظيمي شامل

متكامل. وتصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات».(محمود، علي عبد الحليم، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة،ط١، ١٩٩٤م،ص١٥. وبلقزيز، عبدالله – الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص١٥).

الإصلاح الاجتماعي: أصل شرعي من أصول الإسلام، يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقتضي ذلك أن يكون في المجتمع أناس يقومون على إصلاح أموره في شؤون الدنيا والدين، بحيث تكفل قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التقدم الدائم والمستمر للمجتمع الإنساني، مع تغير الظروف والبيئات، وتجدد المصالح والعادات، فيكون القصد من ذلك تحقيق الإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي. (انظر: محمود جمال الدين محمد، أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط١٩٩٢،١م، ص١٩٣).

ويرى آخرون أنَّ الإصلاح الاجتماعي يتركز على إصلاح الأسرة، فإصلاح الأسرة هو أساس الإصلاح الذي يهتدي به المصلح؛ ليشيع الإصلاح في كلِّ جانب.(انظر: مجموعة من العلماء، بحوث مؤتمر الإصلاح الاجتماعي، ص٩٣.)

ويتضح مما سبق أن الإصلاح الاجتماعي يقوم على إصلاح شؤون الحياة للإفراد والمجتمعات، بما يحقق لهم خير الدنيا والآخرة، فينعم الناس جميعًا بالأمن والأمان، في ظل تحقيق المسلمين لمقاصد الشريعة بإصلاح أحوالهم الدينية والدنيوية.

أصول الإصلاح الاجتماعي:

يقوم الإصلاح الاجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم ابن عاشور أصول الإصلاح الاجتماعي إلى قسمين هما:

أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع (انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٩).

١- الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد:

يقوم إصلاح الفرد على إصلاح عقله الذي هو الأساس لإصلاح جميع خصاله، وبعدها يأتي إصلاح أعماله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت:٣٠].

يرى الطاهر ابن عاشور أن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع في قوله «آمنتُ بالله» معاني صلاح الاعتقاد وفي قوله «استقم» معاني صلاح العمل، وبناء عليه فإنَّ أصول إصلاح الأفراد عند ابن عاشور تقوم على إصلاحين، إصلاح الاعتقاد وإصلاح العمل (انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٩).

هذا وقد أمرنا الله تعالى بإصلاح جميع الأعمال في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة:١٠٥]، وأرشدنا سبحانه وتعالى إلى أهمية العمل وقيمته في قوله الكريم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:٣٣].

ويشمل إصلاح العمل، إصلاح العبادات الشرعية قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج:٧٧] يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «وأما أعمال العبادات فإنما شرعت لتربية هذا الروح الأمرى في الروح الخلقي، ولذلك شرط فيها النية والأخلاص، ومتى تربى سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية، التي يصل بها إلى المدينة الفاضلة، وتحقيق أمنية الحكماء» [انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار

المعرفة، بيروت،ط٢، ج٣، ص٢٥٨).

ولا يخفى ما للعبادة من أثر في إصلاح الفرد، كيف لا وهو واضح في قوله تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٥].

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وللصيام أثره في الوصول إلى التقوى قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣]. وغير ذلك من الآثار العظيمة الموجودة في العبادات.

ينبغي أن نبيِّن أثر العمل في إصلاح الأخلاق الإسلامية عند الأفراد، فقد أثنى الله تعالى على خلق النبي بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤]، وقدم الأخلاق على العبادات في قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤]، فمعاملة الناس والتواضع لهم أولًا، ثم قيام الليل والعبادة ثانيًا؛ لأنَّ المجتمع ينتفع من الخلق الحسن، بينما العبادة لصاحبها فقط، لذا جاءت النصوص التي تحث على ذلك، قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٩ [، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت:٣٤].

إصلاح النفس:

الخطاب الموجّه للنفس وتذكيرها بأوامر الله سُبحانه وتعالى ونواهيه تحمل من المضامين الكثيرة، وخاصّة ما يصدر عن المعصوم، وممّا حمل هذا المعنى في مواعظ الإمام الحسين(عليه السلام)، قوله عندما سُئل: «كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال: أصبحتُ ولي ربٌّ فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي،

لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأُمور بيد غيري، فإن شاء عذّبني، وإن شاء عفا عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟!» [الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٧٠٧. الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٤٤٠].

ومن أقواله التي وردت على هيأة الدعاء، وأراد بها وعظ الآخر من طريق وعظ النفس وحثّها على شكر النعم التي أنعم الله بها على العباد: «اللهمّ لا تستدرجني بالإحسان، ولا تُؤدّبني بالبلاء» [الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤١. أُنظر: العاملي، محمد بن مكي، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: ص٢٣]، فالاستدراج من الله سُبحانه وتعالى للعبد هو: أن يسبغ عليه النعم، ويسلب منه الشكر[انظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٧] وكأنّ الإمام عليه السلام يستحضر معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [آل عمران: آية١٧٨] فالإمام عليه السلام استلهم مضمون الآية الكريمة، فجاء دعاؤه بصيغة النهي الذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى مجازي، فطلب أن لا يكون ما يناله من الإحسان إنّما هو استدراج يُنسيه الشكر مستحضرًا صورة الكافرين الذين ينالهم من الخير، فينقلب عليهم فيزدادوا إثمًا؛ لأنّهم جحدوا فحقّ عليهم العذاب، وهذا درس آخر لنا أطلقه الإمام؛ إذ جمع في هذا الدعاء معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، أفصح فيها عن امتلاكه ناصية الفصاحة والبلاغة [انظر: الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٠]؛ وبذلك اكتسب النصّ قوة التأثير في المتلقّي.

الثبات على المبدأ:

الإمام الحسين عليه السلام لم تثنِه الضغوط عمّا اختطّه لنفسه من طريق؛ فابن عباس يتوسل محاولًا منعه من الشخوص إلى الكوفة بكلّ الوسائل، فلم يفلح؛ إذ يقول بعد

أن استيأس من ثني الإمام عن المسير: «والله، لو أعلم أنّي إذا تشبثت بك وقبضت على مجامع ثوبك، وأدخلت يدي في شعرك حتى يجتمع الناس عليَّ وعليك، كان ذلك نافعي لفعلته، ولكن أعلم أنّ الله بالغ أمره...» [أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٣. اُنظر: سبط بن الجوزي، يوسف ابن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٢٣٩ وما بعدها. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٩٣وما بعدها]، فثبات الإمام(عليه السلام) نابع من عقيدته الراسخة، وإيمانه المطلق بصحة نهضته التي هدفها الإصلاح، فضلًا عن تردي الواقع الذي تمرّ به الأُمّة، وانحراف المسيرة بعد أن تصدى لها ذوو الضلالة والانحراف.

لقد تجسّد ثبات الإمام الحسين(عليه السلام) في رفضه الخضوع إلى اللّئام كما وصفهم في خطبته المشهورة، إذ يقول: «أَلا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك منّي، هيهات منّا الذلّة، أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجُورٌ طهُرت وجُدود طابت، أن يُؤثر طاعة اللِّئام على مصارع الكرام، أَلا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر» [الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٥].

إنّ ثبات الإمام الحسين(عليه السلام) على المبادئ والقيم الحقّة، التي هي ميراث النبوّة على قلّة الناصر وشراسة العدو، وتمسّكه بالرسالة الإصلاحية التي أصرّ على إبلاغها للأجيال، من الدروس التي يجدر بنا التمسّك بها في زماننا هذا وفي كلِّ أوان، فـ «ما أحوج المسلمين اليوم أن يستلهموا جهاد أُولئك العظماء الأفذاذ، ويقتفوا آثارهم، في التمسّك بالدين، والثبات على المبدأ، والتفاني في نصرة الحقّ، ليستردوا مجدهم الضائع، وعزّهم السليب، وينقذوا أنفسهم من هوان الهزائم الفاضحة والنكسات المتتالية» [الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت(عليهم السلام): ص١٩٠].

لقد أطلق الإمام الحسين(عليه السلام) صرخةً في وجه الظالمين، ما زالت مدوية في الآفاق

تزلزل عروش الظلم، رفعها الثائرون شعارًا يشدّ من أزرهم ويقوي عزائمهم كلّما عصف بالأُمّة خطب، قالها في أوج المحنة: (هيهات منّا الذلّة)، شعار رفعناه بألسنتنا وما علينا إلّا تعزيز القول بالفعل إذا ما أردنا الإصلاح وإنقاذ الأُمّة من حال التردّي والضياع.

اتّباع السنّة:

تعهد الإمام الحسين عليه السلام رعاية هذه الشجرة لتؤتي أُكلها في كلّ حين، فرفع شعار الإصلاح واتّباع سنّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في تحقيق هذه الرسالة «خرجت لطلب الإصلاح... وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالبٍ» [المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠]. وتصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى إحياء سنّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله من طريق التصدي للبدع التي تجذّرت في المجتمع، فابتعد القوم عن سبل الرشاد، فكان لزامًا على إمام الأُمّة أن يصدع بدعوته إلى السنّة النبوّية السمحة، وهنا يقول الإمام الحسين عليه السلام: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتُطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد». [الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦].

جسّد الإمام عليه السلام اتباعه لسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله على أرض الواقع، من طريق رفضه للانحراف، والتصدي لتقويمه بالقول والفعل، عند رفضه البيعة، ونهضته للمطالبة بالتغيير ورفع الظلم والحيف الذي لحق بالأُمّة إذ يقول: «أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطانًا جائرًا مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله، أَلا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله...» [المصدر السابق:

ج٤، ص٣٠٤. أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٨،].

من هنا؛ نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما خرج لطلب الإصلاح امتثالًا لأمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتثبيتًا لسنّته التي خولفت وابتعد عنها الناس بعد انحراف بني أُميّة عن المسار القويم، وتركوا طاعة الرحمن، وركنوا إلى الشيطان، فبان ظلمهم للعباد، وهنا نجد القرآن الكريم قد نهى عن اتّباع مَن عطّل سنّة نبيّه واتّبع هواه، كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [هود: آية١١٣]. وعليه فإنّ قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره إنّما هو امتداد لما جاء في القرآن الكريم من أوامرٍ ونواهٍ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بعدم الركون إلى السلطان الجائر إنّما هو امتداد لأمر الله سُبحانه وتعالى بعدم الركون إلى الظالم، وما صرخة الإمام الحسين عليه السلام بوجه الظالم إلّا امتثالًا لأمر الله وإحياءً لسنَّة نبيَّه.

٢- الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع:

يشمل الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع الإصلاح السياسي والاقتصادي والسلوكي.

والإصلاح السياسي من مقاصد القرآن؛ لأنَّ الإسلام دين هداية وسيادة وسياسة وحكم، فما جاء به القرآن من إصلاح البشر في جميع شؤونهم، يتوقف على السيادة وإقامة الحق، والحكم بالعدل، وحماية الدين والدولة.

إنَّ صلاح المجتمع يكون بطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع والتفرق، لأنَّ ذلك يؤدي إلى الفشل الذريع، والضعف الذي لا تقوم للأمَّة به قائمة، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ**

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ومن المعلوم أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قد وضع قواعد لإصلاح المجتمع، منها بناء المسجد، وللمساجد دورها العظيم في الإصلاح الاجتماعي، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو ما جاء في الآية السابقة ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ**﴾.

إنَّ المتأمل في سورة الحجرات المكونة من آية، يرى في ورود النص الشريف ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ خمس مرات أوامر كثيرة جدًا في الإصلاح الاجتماعي،وورد النص الشريف: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣].

إنَّ القرآن الكريم قد أقام الروابط بين المسلمين بتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، من طريق تحريم دم المسلم وماله وعرضه، وغير ذلك من التوجيهات التي وردت في قوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾]الأنعام١٥١-١٥٣]، فقد انقسمت الأحكام في الآيات السابقة على ثلاثة أقسام: الأولى: أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس والمفتتحة بقوله: ﴿**أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾، والثاني: أحكام بها حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض والمفتتحة بقوله: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ**﴾، والثالث: أحكام جامعة للهدى وهو أتباع طريق الإسلام، والتحرز من الخروج عنه إلى سبيل الضلال والمفتتحة بقوله: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾.

ويرى المتأمل في قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾]البقرة:١٧٧[.أنَّ هذه الآية قد جمعت الفضائل كلَّها، التي ينشئ عنها صلاح أفراد المجتمع جميعًا في العقيدة وصالحات الأعمال.

تعدّدت سبل توجيه المواعظ والإرشادات عند الإمام الحسين(عليه السلام)، فلم تقتصر على مخاطبة الآخرين من طريق مخاطبة الذات؛ إذ نجده أحيانًا يُخاطب الآخر بصورةٍ مباشرةٍ؛ لتتحقق الأهداف المرجوّة من هذه المواعظ، ويحمل الخطاب معنى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو ربّما يكون الغرض منه إلقاء الحجة على المتلقِّي الذي استبدَّ به العناد والتعنُّت والغي، وسنعرض لهذه المضامين في ضوء هذه المواعظ:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات التي حثَّت عليها الشريعة الإسلامية بوصفها أداة لتقويم ما اعوجَّ من سلوكيات في المجتمع الإسلامي، وقد عرفها أهل اللغة بأنّها: «ما يُستحسن من الأفعال، وكلّ ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه. والمنكر: كلّ ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرّهه» [عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات الفقهية: ص٤٩٣]، ويمكن أن نتبيّن المعروف من المنكر من طريق ما ورد في القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، فـ«كلّ ما أمر الله ورسوله به فهو معروف، وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر» [الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج١، ص٤٨٣]، و«لا يختصّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم،

فهو شامل للتصورات والمبادئ التي تقوم على أساسها العقيدة الإسلامية، وشامل للموازين والقيم الإسلامية التي تحكم العلاقات الإنسانية، وشامل للشرائع والقوانين، وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة أُخرى: هو دعوة إلى الإسلام عقيدةً ومنهجًا وسلوكًا، بتحويل الشعور الباطني بالعقيدة إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والإرشادات الإسلامية، ومنكمشة ومنفصلة عن مقتضيات النواهي الإسلامية» [مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ص١٢].

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه المسؤولية الشرعية بصورة جلية؛ إذ تجسّدت على أرض الواقع بالقول والفعل، فيقول: «اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول: ﴿**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ...**﴾ [المائدة: آية٦٣]. وقال: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...**﴾ [المائدة: آية٧٨]. إلى قوله: ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: آية٧٩]، وإنّما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنّهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد، فلا ينهونهم عن ذلك رغبةً فيما كانوا ينالون منهم ورهبةً ممّا يحذرون، والله يقول: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ [المائدة: آية٤٤]، وَقال﴿**وَالْمؤْمِنُونَ وَالْمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمنْكَرِ...**﴾ [التوبة: آية٧١]، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فريضةً منه، لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت، استقامت الفرائض كلّها، هيّنها وصعبها، وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومُخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها... » [ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ص٢٣٧].

لقد انطلق الإمام الحسين عليه السلام من حقيقة راسخة مفادها: أنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أُدّيت على أُصولها ستُصلَح شؤون الأُمَّة كلّها ويتحقق الأمن المجتمعي، فيُنتصر للمظلوم ويُردع الظالم.

ولم تكن الغاية من تبنِّي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين عليه السلام إلّا الإصلاح، وإقامة العدل، ونصرة المظلوم؛ إذ يقول: «اللهمّ، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافسًا في سلطان ولا التماسًا من فُضول الحطام، ولكن لِنُرِيَ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك؛ ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسُننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا الله، وعليه توكّلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير» [المصدر السابق].

وانطلاقًا من هذا المبدأ وجد الإمام الحسين عليه السلام أنّه لا بدَّ من الخروج؛ لطلب الإصلاح الذي لا يتمّ ولا تتحقق الأهداف المرجوة منه إلّا بالقول والعمل، فالقول هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنطاقهما الواسع على وفق ما يقبله العقل والوحي، والعمل هو اتّباع سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ووصيه الإمام علي عليه السلام.

إلقاء الحجة:

لم يترك الإمام الحسين عليه السلام خصومه من دون وعظ و إرشاد؛ عسى أن يعودوا إلى رشدهم، من طريق إيضاح الصورة التي التبست عليهم بوعي منهم أو من دون وعي؛ إذ ربّما أثَّرت الدعاية الإعلامية للخصم، فينساق الناس وراءها من طريق قلب الحقائق، فتنطلي الأكاذيب، وهذا غالبًا ما يقع فيه عامّة الناس؛ بسبب سهولة الإيقاع بهم وتضليلهم، فيما يركب العناد والتعنت الفئة الثانية التي هي على اطلاع ومعرفة بالحقيقة، إلّا أنّ حبّ الدنيا وبريق الذهب قد خطف أبصارها، فوقعت في شراك النفس الأمّارة بالسوء.

أمام هذا الانسياق وراء هوى النفس ومغريات الدنيا وجد الإمام عليه السلام ضرورة ملحّة إلى تبصير الفئة الأُولى على الأقل؛ علَّها ترجع إلى رشدها، فكان لا بدَّ من إلقاء الحجة على الناس وتحذيرهم من الانحراف والردَّة، فوجَّه خطابه إليهم في أوج المعركة، فـ« ركب فرسه، واستنصت الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: تَبًّا لكم أيّتها الجماعة وترحًا وبُؤسًا لكم، حين استصرختمونا وَلهين، فأصرخناكم مُوجفين، فشحذتم علينا سيفًا كان في أيدينا، وحمشتم علينا نارًا أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا، فأصبحتم إلبًا على أوليائكم، ويدًا على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منّا إليكم، فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها سفهًا وضِلّة، فبُعدًا وسُحقًا لطواغيت هذه الأُمّة، وبقيّة الأحزاب ونبذة الكتاب، ومُطفئي السنن، ومُؤاخي المستهزئين الَّذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الإمام، وملحقي العهرة بالنسب، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سَخِط الله عليهم وفي العذاب هم خالدونَ، أفهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون، أجل والله، خذلٌ فيكم معروف، نبتت عليه أُصولكم، واتزرّت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، أَلا لعنة الله على الظالمين الناكثين، الَّذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلوا الله عليهم كفيلًا» [الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤ انظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٢١].

ممّا يميِّز هذا الخطاب، هو الشدَّة والقوة التي يتطلبها الموقف، وكأنَّ القوم قد وصلوا إلى مرحلة اللا عودة، فأراد تعنيفهم وزجرهم، فاستعمل ألفاظًا تتسم بالشدَّة، فذكَّرهم بكتبهم وبيعتهم له، ثمَّ تراجعهم وانحيازهم إلى الطاغوت.

حفظ كرامة الآخر:

ومن المضامين الإنسانية التي حفلت بها السيرة الحسينيّة الشريفة، التي تُعدّ دروسًا ومبادئ رصينة وراسخة، يجدر بالمؤسسة التي تُعنى بحقوق الإنسان أن تتخذ منها منارًا تهتدي به، ومنهاجًا تحذو حذوه؛ لتحفظ كرامة الإنسان وتصون ماء وجهه؛ لأنّه قيمة عُليا كرّمه الله سُبحانه وتعالى وسخّر له كلّ شيء: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: آية ٧٠]، ولمّا كان الإنسان هذا قدره وهذه منزلته عند الله سُبحانه وتعالى، نجد هذا التكريم قد انسحب على سلوك الأئمّة عليهم السلام وطريقتهم في التعامل مع الإنسان، ونجد ذلك الأمر جليًا في خطاب الإمام الحسين عليه السلام الموجّه للإنسان حينما «جاءه رجل من الأنصار يُريد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام: يا أخا الأنصار، صُن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ما سارّك إنْ شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلّمه ينظرني إلى ميسرة. فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرّة فيها ألف دينار، وقال عليه السلام له: أمّا خمسمائة، فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب، فأمّا ذُو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروءة فإنّه يستحيي لمروّته، وأمّا ذُو الحسب، فيعلم أنّك لم تُكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك» [المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٨].

لم يتبع الإمام عليه السلام صدقته بالمنّ، وكأنّه استحضر مضمون الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَالله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: آية ٢٦٤]، ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بحفظ

ماء وجه السائل، بل وضع قاعدة لذلك من طريق إرشاد مَن يضطر إلى طلب الحاجة من الناس، أن لا يسأل إلّا ذا دين (فيصون دينه)؛ فيكتم أمر السائل ولا يذيع خبر مسألته بين الناس، وذا المروءة؛ (فإنّه يستحيي لمروءته)، فلا يهدر كرامة السائل فيحسن إليه، أمّا ذو الحسب، فإنّه يستجيب لمَن يسأله قضاء حاجة من دون منٍّ أو أذى.

الحضُّ على المكارم:

من مواعظه عليه السلام الحضّ على المكارم وترغيب الناس في التسابق في عمل الخير، وقضاء حوائج الآخرين، وتجنب المنّ والأذى، إذ يقول: «أيّها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجّلوه، واكتسبوا الحمد بالنّجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذمًّا، فمهما يكن لأحد صنيعة له رأى أنّه لا يقوم بشكرها فالله مكافٍ له، فإنّه أجزل عطاءً وأعظم أجرًا. اعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم اللّه عليكم، ولا تملّوا النعم فتحور نقمًا، واعلموا أنّ المعروف مُكسب حمدًا ومعقب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلًا رأيتموه حسنًا جميلًا يسرّ الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم رجلًا رأيتموه سمجًا مشوّهًا تنفر منه القلوب وتغضّ دونه الأبصار» [ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ج١، ص١٠٢].

لقد رسم الإمام عليه السلام للمكارم صورًا محسوسة تتمثّل أمام الناظر بأحسن صورها وأبهاها؛ لتكون ممّا تشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأنفس، فقد شبّه صورة المعروف بصورة رجل وضيء حسن الوجه يسرّ الناظرين، ويقابل ذلك بصورة اللؤم، فيشبّهه بصورة رجل سمج مشوّه تنفر منه القلوب.

وتتوالى عباراته مفعمة بالمواعظ التي تحثّ على التحلّي بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، التي ترتقي بالنفس وتنزع منها كلّ ما يشينها؛ لأنّ بصلاح النفس يصلح المجتمع بأسره، إذ يقول عليه السلام: «أيّها الناس، مَن جاد ساد، ومَن بخل رذل، وَإنّ أجود

الناس مَن أعطى مَن لا يرجو، وإنّ أعفى الناس مَن عفى عن قُدرة، وإنّ أوصل الناس مَن وصل مَن قطعه، والأُصول على مغارسها بفروعها تسموا، فمن تعجّل لأخيه خيرًا وجده إذا قدِم عليه غدًا، ومَن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومَن نفّس كُربة مُؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومَن أحسن أحسن الله إليه، والله يحبّ المحسنين» [المصدر السابق].

ولعلّ سوق كلّ مكرمة وما يقابلها من ثواب يترك في النفس أثرًا واضحًا، فجعل (على سبيل المثال) ثمن الجود السيادة، على حين قابل بين كلّ رذيلة بجزائها، فجعل الدناءة والوضاعة مصير كلّ بخيل، وكذلك قابل بين الوصل والقطع، والأُصول والفروع، والدنيا والآخرة.

هذا وقد عد الإصلاح الاجتماعي من مقاصد القرآن الكريم، وهو يقوم على أصول أدبية أربعة هي:

– وحدة الأمة: قال تعالى مخاطبًا أمة الإسلام: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾]الأنبياء:٩٢].

– الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾الحجرات:١٣، وقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك للأمة في حجة الوداع.

– وحدة الدين بإتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل، وأكمل تشريعه بما يوافق جميع البشر ودليله قول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ**

وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾]الأعراف:١٥٨[.

– وحدة الإخوة الروحية والمساواة بين المؤمنين بهذا الدين في إخوته الروحية، وعباداته، وفي الاجتماع الاجتماعي، منها الصلاة ومناسك الحج، فملوك المسلمين وأمرائهم وكبار علمائهم، يختلطون بالعوام والفقراء في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج، ولا يرضى غير المسلمين بمثل هذه المساواة، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**]الحجرات:١٠[، وقوله: ﴿**فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** التوبة:١١ (انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت،ط٢، ج١١، ص٢٥٥-٢٥٧).

ويهدف الإصلاح الاجتماعي إلى تحقيق المساواة وتكافؤ الفرص أمام القانون والعدالة في توزيع أعباء الإنفاق العام، وإشراك المجتمع في المسؤولية السياسية والتمتّع بالحريات الأساسية» (الدخيل، عبد العزيز عبد الله، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية).

فالإصلاح الاجتماعي حركةٌ عامَّة تحاول القضاء على المساوئ التي تنشأ عن خلل في الوظائف أو النسق الاجتماعي أو أي جانب فيه. ويُستخدم هذا المصطلح لإزالة الفساد الحكومي.

إنَّ الفساد الاجتماعي يظهر في كبار المسؤولين من الناحية الأخلاقية، ومنها: (شبكات الرق، ومافيا الأطفال)، وهي الأعمال اللاأخلاقية اجتماعيًا؛ لذا فهو بمجمله انحراف أخلاقي متعلق بسلوك الموظّف وتصرّفاته بأعمال مخلّة بالحياة العامّة وفي أماكن العمل، أو يجمع بين الوظيفة وأعمال خارجية دون إذن؛ فيستغل السلطة لتحقيق مآرب شخصية على حساب المصلحة العامّة، أو أن يمارس المحسوبية بشكلها

الاجتماعي الذي يسمّى بـ(المحاباة الشخصية) من دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والجدارة والخبرة.

إنَّ الفساد الإداري يظهر في الانحرافات الإدارية في الوظيفية والتنظيمية، ويشمل (الرشوة، المحاباة، المحسوبية، الاحتيال)، وبذلك تصدر عن الموظّف العام في أثناء تأدّيته لمهام وظيفيته في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسدّ الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين؛ وبذلك يغتنم الفرصة للإفادة من هذه الفرص على صنع القرار.

فالفساد الاقتصادي يظهر في صفقات الأسلحة والجريمة المنظّمة مثل: (المخدرات، غسيل العملة، التهرّب من الضريبة، وصفقات المساعدات الإنسانية)؛ لذا فهو سلوك منحرف ومخالف للقواعد والأحكام المالية الذي تسير عليها المؤسسة الإداريـة والمالية في الدولة، أي: مخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية والخاص بفحص ومراقبة حسابات وأموال الحكومة، ويشمل (الرشاوي، والاختلاس، والتهريب الضريبي، وتخصيص الأراضي، والمحاباة، والمحسوبية في التعيينات الوظيفية).

من المعلوم أن ليس من السهل إعادة بناء الإنسان ما لم تكن هناك رغبة حقيقية وصادقة عند أصحاب القرار؛ وذلك بوضع خطط واضحة ومنهجية علمية تجعل من مخرجات التربية والتعليم تتميز بتفوّق الكم على النوع، وتحسين الأداء، ومهارات أداء الطالب والتدريسي، والمنهج والمؤسسة التعليمية بشكل عام، ولكن الذي يقف أمام ذلك هو الفساد التربوي ومنها الغش في الامتحانات، وتزوير الشهادات، واعتلاء المناصب الإدارية من قِبَل أشخاص غير مؤهّلين مهنيًا وتربويًا، والتدريس الخصوصي، والمحسوبية، والفئوية، والقومية، والعشائرية.

النتائج:

إنَّ حركة الإصلاح لها مفهوم شامل وكبير يشمل مجالات الحياه العامة.

وإنَّ الإمام الحسين عليه السلام جسّد معاني حركة الإصلاح في تصحيح مسار الأُمَّة بدءًا من النفس حتى المجتمع ومؤسساته وذلك من طريق محاربة الفساد بكلّ أشكاله، بمقولته المشهورة: «وإنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب».

يقوم الإصلاح الاجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم أصول الإصلاح الاجتماعي على قسمين: أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع أو إصلاح الإجتماعي على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع

والاصلاح الإجتماعي على مستوى الأفراد كإصلاح النفس، والثبات على المبدأ، واتّباع السنّة و...إلخ

والإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلقاء الحجة، وحفظ كرامة الآخر، والحضّ على المكارم

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام أصبح مصباح الهدى وسفينة النجاة في حفظه مبادئ الدين وفروعه، وإنَّ ثورته المباركة أفرزت قيمًا للأجيال القادمة والأُمم والشعوب المضطهدة، فهي ليست محلية، بل أصبحت عالمية، ينبغي التمسّك بها، وبذلك قدَّم الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف الخالدة قرابين للدين الإسلامي؛ لكي يبقى الإسلام صافًا معطرًا بعطر الرسول محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

فهرست المصادر:

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية

٢. ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر (٢٠٠١م) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط١.

٤. ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام.

٥. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين.

٦. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة.

٧. الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، دروس من يوم عاشور، قسم الثقافة والإعلام، سلسلة (١٧).

٨. الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، نصرة الإمام الحسين عليه السلام، قسم الثقافة والإعلام، سلسلة(٦٥).

٩. بدوي، أحمد زكي (١٩٧٧م) قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان.

١٠. بلقزيز، عبدالله (١٩٩٧م) الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب، بيروت، ط١.

١١. الدخيل، عبد العزيز عبدالله (٢٠١٣م) معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، انجليزي، عربي، دار المناهج، الأردن.

١٢. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء.

١٣. رشيد رضا، محمد تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت،ط٢.

١٤. الزبيدي، صباح حسن عبد (١٤٣٠هـ) القيادة الحسينية كأسلوب ثوري في قيادة المجتمع وإصلاحه من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحث مقدم إلى مهرجان ربيع الشهادة الخامس، وتحت شعار (الثابت الحسني في عالم متغير ـ مؤتمرهم العلمي الثالث، العتبة الحسينية والعباسية.

١٥. سبط بن الجوزي، يوسف ابن فرغلي، تذكرة الخواص.

١٦. الشيرازي، السيد محمد (٢٠٠٤م) الحسين عليه السلام مصباح الهدى، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة.

١٧. الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت عليهم السلام.

١٨. الصدوق، محمد بن على (ت٣٨١هـ) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

١٩. الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه.

٢٠. طاهر، أنعام إسماعيل (٢٠١٦م) مفهوم الإصلاح في النهضة الحسينية وأهمّية تطبيقه في التربية والتعليم، بحث مقدّم إلى مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي للنهضة الحسينية، تحت شعار (النهضة الحسينية مشكاة التكامل الإنساني) كربلاء المقدسة للفترة من (٢٥ ـ ٢٦/ آب / ٢٠١٦م).

٢١. الطباطبائي محمد حسين (١٤٠٢-١٣٤٢هـ) الميزان في تفسير القرآن.

٢٢. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج.

٢٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان

٢٤. العاملي، محمد بن مكي، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة.

٢٥. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات الفقهية

٢٦. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٣، ١٣٦٧ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٢٧. المجلسي، محمدباقر (١٤٠٣/ ١٩٨٣م) بحار الأنوار، ط٢، الناشر: مؤسسة الوفاء/ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٢٨. مجموعة من العلماء، بحوث مؤتمر الإصلاح الاجتماعي.

٢٩. محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٤م) فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١.

٣٠. محمود جمال الدين محمد (١٩٩٢م) أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط١.

٣١. مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٣٢. النورة جي، أحمد خورشيد (١٩٩٠م)مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.